وقد اثبت التاريخ مرة اخرى أنه كلما تعمق الاندماج في النظام الرأسمالي العالمي، كلما تفاقمت ظواهر التفتت في الصفوف العربية. هذا، وقد لعبت الثروة النفطية الدور الرئيسي في تغذية اوهام جديدة وفي احلال سياسة «الانفتاح» المزعوم محل محاولات التنمية المستقلة، فليس الانفتاح ظاهرة مصرية بحتة، بل هي ظاهرة انتشرت في جميع اقطار الوطن العربي وغزتها، فأخذت الاقطار العربية تعود الى ظروف سيطرة الاستعمار، من خلال تحالفه مع طبقات ذات طابع كومبرادوري، تلك السيطرة التي حاولنا ان نتحرر منها خلال عقدي الخمسينات والستينات، وقد ادى الانفتاح هذا الى النتائج نفسها في جميع الاقطار، اي زيادة التفاوت في توزيع الدخول، وبالتالي فقدان الامل من قبل الطبقات الشعبية.

ورأينا هو ان هذه التطورات الاقتصادية السلبية، هي المسؤولة ايضاً عن عدد من الظواهر السياسية السلبية هي الاخرى، ومنها تراجع الوعي القومي العربي وحلول الانتماء الديني والطائفي او الانتماء الاثني والقبلي محله، وجميع هذه الظواهر انما هي اعراض للازمة دون ان تكون حلاً لها.

بيد ان هذه الظواهر جميعاً لا تخص الوطن العربي فقط، فهناك ظواهر وتطورات سلبية مماثلة تماماً على صعيد العالم الثالث كله. واطروحتنا في هذا الصدد هي ان هذه التطورات ناتجة عن الازمة الهيكلية التي دخل النظام الرأسمالي العالمي فيها منذ اوائل السبعينات. فالرأسمال المركزي المسيطر يواجه الازمة بهجوم عام على الاطراف، الامر الذي يحد من هامش الحركة الذي استفادت منه اقطار العالم الثالث في المرحلة السابقة.

والخلاصة التي نستخلصها من هذه التطورات هي ان الوحدة العربية لم تُحقق على ايدي البرجوازية، فلن يتكرر في هذا الشأن تاريخ الوحدات التي تمت في اوروبا في القرن الماضي. فقضية الوحدة العربية معلقة على قدرة الطبقات الشعبية في ان تفرض نفسها كقوة اجتماعية مهيمنة. ومعنى ذلك ان شعار «الوحدة اولاً» شعار عقيم، فالشعار الصحيح والنافع هو «الاشتراكية والوحدة» اذ ان الاشتراكية اصبحت في عصرنا وظروفنا التاريخية شرطاً ضرورياً لن تتم الوحدة دونها.

تلك هي ـ في رأينا ـ الظروف الصعبة التي احاطت بنشأة ونمو مركز دراسات الوحدة العربية. وقد حقق هذا المركز القيّم في هذه الظروف القاسية ما يشّرف قيادته، وكل من يعمل فيه، وما يفرح كل مواطن لا يقبل الاستسلام، ففتح المركز مجالاً للنقاش الصحيح حول ازمة المجتمع العربي الراهنة؛ ونجح في تطوير هذا النقاش الى عنصر ايجابي مهم في المساعدة على اجتياز تلك الفترة الصعبة من تاريخ الوطن. ان المستوى العلمي العالي للندوات التي نظمها المركز ـ وتشهد الكتب التي نشرها ومقالات مجلته «المستقبل العربي» على هذا المستوى ـ هو الدليل على اهمية هذا الحوار بين مختلف عناصر وتيارات التحرر العربي. ويرجع الفضل في هذا النجاح الى كل من اشترك في انشطة المركز وخاصة الى مديره العام الاخ د. خير الدين حسيب.

د. غسان سلامة

استاذ في قسم العلوم السياسية في الجامعة الاميركية ـ بيروت.

السؤال الحقيقي هو من اين تمسك بالقادة وبالمفكرين العرب؟ بالامس كانوا قوميين، واليوم هم غير ذلك. بالامس كانوا يبنون الاشتراكية واليوم هم يأكلون فتات النفط. كانوا ينادون بشيء واصبحوا يقولون بشيء آخر، او انهم يقولون القول نفسه ويمارسون عكسه. اهم ما يميز السياسة العربية،

والثقافة السياسية اليوم هو تلك الانتهازية الغريبة، ذلك التساهل الاحمق والتافه مع الكلمة والموقف. اصبحت الشطارة الصغيرة هي الذكاء بعينه، والالتواء والكذب عناوين الواقعية الجديدة، واحتقار الفكر مع ادعائه صنعة لذاتها، والتلّون السريع بما يناسب المصلحة قمة المعرفة ومثال سرعة الخاطر.

اقول هذا، وانا به مقتنع، لأهنىء المركز على ثباته في موقف واحد. اني لا اشعر بنفسي، حتى الساعة على الاقل، معنياً بصورة عميقة بمقولات الفكر القومي التقليدي العربي من امة عظيمة تمتد من المحيط الى الخليج، واقطار تؤلف تلك الامة بصورة متناسقة متناسبة، وشعب عربي واحد، وما اليها من المقولات. ولديّ الشجاعة ان اقول هذا، وفي «المستقبل العربي» بالذات، لأني حريص على عروبة اخرى، شعورية، اختيارية، لا تحتقر المصلحة ولا تزعجها الكيانات القائمة بصورة مرضية، تضع الممارسة الديمقراطية وحقوق الانسان في صلب اهتماماتها، وتتنافس مع الحضارات الاخرى في مدى حرصها على الحرية، ومدى احتضانها للابداع ومدى تجاوزها لكل انواع السلفيات العقيمة. حريص على عروبة تحتضن حواراً خلّاقاً بين ابناء الديانات المختلفة، تهاجم اسرائيل من حيث هي قائمة على مبدأ العنصرية المتدينة والتفوق الاثني، وتهتم بتنوع العرب فكراً، ولوناً، ونزعات، وطرقاً نحو الحقيقة والابداع بقدر ما هي تعمل على تقاربهم، وعلى وحدتهم، إن هم شاؤوا ذلك.

من كتابات المركز والمفردات التي يحبها ويحاول دفع الآخرين الى تبنيها، من بيانه التأسيسي وتاريخ بعض اركانه، تنبع عروبة اخرى ليست بالضرورة متشابهة، او مماثلة كلياً لتلك التي احلم بها او اطمح اليها. ولكن ذلك لم يبعدني عن المركز، عن التموّن بنتاجه والمساهمة المتواضعة في تموينه ببعض ما ادّعي معرفته او اتوهّم الاقتناع به. لأن التعامل مع الخط الواضح سهل، حتى حين لا تتبناه، التعامل صعب مع الخطوط الزئبقية المتحركة التي تعتقدها قريبة جداً من قناعاتك حتى تكتشف انها ليست الا السراب ذاته، لتنقّل صاحبها الدائم من مكان الى آخر. المركز، اسماً وهدفاً، واضح، وهو يريح مخاطبه لأنك تعرف مع من تتعامل، تعرف امكانيات ذلك التعامل، وتعرف حدوده ايضاً. وهذا، في مرحلة الانزلاق الدائم الحالية، امر عظيم للغاية.

لهذا، لا تزعجني مفردات المركز، ولا تكرار هدفه، ولا حتى تكرار الصفحة الاولى المملة من مجلته الشهرية، ولا استمراره على موقف واحد، بل على العكس فإن كل ذلك اراحني منذ الاساس، لأن الامور واضحة، إتفقت معها ام إختلفت.

هذه الصلابة بالذات هي على الارجح اكبر الاخطار التي تهدد المركز. لقد كانت في العقد الاول من عمره، اساس المصداقية وضمانة الشخصية المميزة. ولكن الاستمرار فيها بصورة مطلقة في العقد الثاني امر ليس بالضرورة هو ما أشتهي وأتمنى. لقد أصبح المركز معروفاً في اتجاهاته، وفي دعوته، وبقي عليه ان يدخل العصر، ان يتساءل عن اسس القومية العربية، واشكال الوحدة الممكنة والمرجوة بين العرب، وعن مصير الكيانات والجماعات، ان يحاول تزويج القومية بالديمقراطية، وثقل التراث بتحديات المستقبل، وحدود الذات بنشوة الحرية.

هنا تتضح خطورة وضعنا الراهن ومجالات العمل امام المركز: لماذا الابداع العربي ناضب لهذه الدرجة؟ لماذا لا يخرج من العرب شاعر فذ، او مسرحي ممتاز؟ لماذا لا نخترع الذرة، لماذا لا نسابق الجميع في التكنولوجيا؟ البحث عن الذات عظيم، ومحاولة لملمة اجزاء الذات سعي مشكور ولكن جدلية الأنا مقابل الآخرين بالنهاية عقيمة. فالأنا جزء من كل بشري عظيم، هو ارقى علماً وثقافة وابداعاً، في الاجمال منا.

نجاح المركز في هذا المجال قد فاق تقديرات الكثيرين ممن نظروا الى المركز نظرتهم غير الجدية للعديد من مراكز البحث التي ظهرت الى الوجود وعجزت عن تحقيق الطموحات والتصورات التي وضعها لها القائمون على امرها. فإذا اضفنا الى هذا ان المركز يعمل في ظل ظروف عربية غير ملائمة، كما هو معروف، فإنه يمكننا القول ان المركز قد حقق الكثير في هذا السبيل.

ولكن، ومن جهة اخرى، وحرصاً على المهمة التي انشىء المركز من اجلها وكُرّس لها، نقول ان دراسات المركز وابحاثه لم تخرج عن دائرة المثقفين المهتمين بقضية الوحدة والملتزمين بها، الى القطاعات الاخرى من الشعب العربي. صحيح ان اكثر المثقفين العرب على اطّلاع على بعض اعمال المركز، وصحيح ان مجلة المركز توزع على نطاق واسع بالقياس الى غيرها من المجلات والدوريات، وصحيح ايضاً ان حجم ما انتجه المركز وحجم ما يوزعه يثير الاعجاب، الا ان ذلك يظل قليلاً، وقليلاً جداً، بالقياس الى عدد افراد الشعب العربي، بل الى عدد طلاب الجامعات فيه دون غيرهم من قطاعات المتعلمين. وقد يكون من المفيد في هذا النطاق القيام بدراسة مدى اطلاع القارىء العربي لما ينتجه المركز ومدى تأثر هذا القارىء بما ينتجه المركز وعلاقة هذا كله بالوعي الوحدوي عند القراء دون غيرهم من قطاعات الشعب.

نقول هذا لأننا نفترض ان دور المركز لا يقتصر على القيام بالدراسات وتقديمها للمتخصصين، بل يتعدى ذلك الى نشر الفكر الوحدوي والى توعية المواطنين بقضية هي من اهم قضاياهم المصيرية.

اما اعمال المركز المختلفة من ندوات وكتب ودراسات فهي، دون شك، على اعلى قدر من الجدية والمنهجية العلمية الملتزمة، فجميع اعمال المركز تقريباً موثّقة توثيقاً جيداً وتتضمن فهارس عامة تساعد القارىء وتيّسر مهمة البحث العلمي. اضف الى ذلك جودة الطباعة وقلة الاخطاء وبساطة الاخراج واتساع رقعة التوزيع بحيث نجد كتب المركز تصل الى اكبر عدد ممكن من المكتبات في جميع اقطار الوطن العربي تقريباً، وذلك عبر شبكة توزيع نشطة وفعّالة. ولا نحتاج هنا الى التوسع في الحديث عن ندوات المركز والدقة التي تدار بها هذه الندوات، والحرص على الانتاجية الذي يهيمن على الجلسات، والتغطية الاعلامية اللازمة التي حرص المركز عليها في ندواته الاخيرة.

ولكننا في الوقت نفسه، ومن موقع الحرص على دور المركز ايضاً، نقول ان اكثر الدراسات والندوات تتجنب الموضوعات التي يمكن ان تفضح الدور التآمري للقوى الكبرى ضد الوحدة العربية. فمما لا شك فيه اننا نعيش اليوم في عالم لا تترك فيه القوى الكبرى صغيرة ولا كبيرة من امور العالم، والعالم الثالث خاصة، الا وتدلي فيها بدلوها. اضف الى ذلك انه من الحقائق القاطعة ان مصالح المعسكر الامبريالي والدول الاستعمارية تتعارض مع قيام قوة عربية فاعلة يمكن ان تحققها وحدة عربية جدية جزئية او غير جزئية، ومما لا شك فيه ان الدول الصناعية المتطورة والمستفيدة من واقع التجزئة والتفكك العربي ـ مباشرة او غير مباشرة ـ تعمل جاهدة لابقاء هذا الواقع، فأين الدراسات التي تكشف هذه الامور وما شاكلها؟ ثم اين الدراسات التي تظهر مصالح الفئات الحاكمة العربية في الابقاء على واقع التجزئة؟ واين الدراسات التي تبين كيف تسعى هذه الفئات الى حرمان الجماهير العربية من حقوقها الاساسية عبر القمع والارهاب والتعسف والظلم والتآمر، بل والعمالة والتبعثر، لكي تبقي واقع التجزئة الذي يحقق مصالحها على حساب مصالح الجماهير الشعبية؟

ما نريد ان نقوله ان قضية الوحدة تطرح من الموضوعات ما يتجاوز التوثيق الذي يعطيه المركز حيزاً واسعاً من نشاطه. ونحن لا ننكر اهمية يوميات الوحدة وببليوغرافيا الوحدة وتاريخ الوحدة وماضيها

هكذا يدخل الملل، وتتسلل الرتابة الى كتاباتنا لأن الابداع ليس هاجسنا بصورة كافية، والقلق قد حل مكانه نوع من الاستكانة المسالمة. الملل لدى القارىء ينبع من انعدام اللذة لدى الكاتب وهو يتناول موضوعه. انني بصراحة اشعر بكثير من الملل لدى قراءة الجزء الاكبر من الانتاج الفكري المعاصر ولا ينجو المركز الا جزئياً من خطيئة انتاج هذا الشعور. لماذا؟ ألأن الاكاديمية التي تلون بعض الكتابات تخفي تهرباً من المعالجة الصادقة؟ ألأن العلوم السياسية تخبىء هروباً من الموقف السياسي، والعلوم الاجتماعية تتضمن انفصاماً عن جسم المجتمع، والعلوم الاقتصادية هروباً سرياً الى النفط؟ ما هذه العلوم المجتمعية المملّة؟

لا اذكر، الا استثنائياً، مقالاً في المجلة او ورقة في ندوة او كتاباً من كتب المركز هزّني بالفعل وجعلني اعيد النظر بقناعاتي ومشاعري. ما يميز نتاج المركز عن غيره، هو الفارق في نوعية المعالجة الاكاديمية. فالمركز يبحث اجمالاً عن مستوى جامعي مقبول، وعن قواعد «موضوعية» في الكتابة والنشر. ولكن هذه الشروط ليست كافية او ليست هي الاهم. فالدار، والمجلة بالذات، بحاجة ماسة الى روح. المجلات الناجحة فعلاً ليست هي التي تراكم المعلومات شهرياً، بل التي تخلق تياراً فكرياً.

لذا فإن املي هو ألا تتحول صلابة موقف المركز الى سجن فكري له، حديث وراقٍ وموضوعي، ولكنه سجن بالضرورة. فلتكن الصلابة باباً للمراجعة. ان الويلات التي تحل بالعرب الواحدة عن يدهم والثانية عن يد اسرائيل، والثالثة عن يد النظام الدولي، ينبغي ان تثير همتنا لمراجعة قناعاتنا العميقة، وعفوية بعض ردود فعلنا. اذ يبدو ردنا عليها، فكرياً وعلمياً وسياسياً، دون المستوى بكثير.

اما وقد عبر المركز عتبة عقده الثاني، فلا يمكن نسيان ذلك الذي وهبه، هو الآخر، وحتى الساعة على الاقل، عقداً من عمره. فالمركز، ايضاً، صورة عمّن حمل همومه، وتسلّم مقوده، واعطاه الكثير، بل اكاد اقول الكل. واملي ان يبقى في الهمة نفسها، وان يستطيع اشراك آخرين في المسؤولية والقيادة، وان تتحول مصلحة المركز من الهاجس الاوحد في تعامله مع معاونيه، الى مقياس اساسي ولكن غير حصري لذلك التعامل.

د. معن زيادة

استاذ قسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية.

- ١ -

نفترض هنا ان الدور الذي حُدِّد لمركز دراسات الوحدة العربية يوم انشائه يتلخص في القيام بدراسات معمقة في جميع المجالات حول الوحدة العربية، اضافة الى نشر الفكر الوحدوي بين قطاعات المجتمع العربي كافة حيثما تيّسر له ذلك. فإذا كان الامر كذلك، فإنه يمكننا القول ان المركز قد قام بتأدية قسط وفير من الدور الذي حدد له.

فمن جهة نشر المركز مجموعة واسعة من الدراسات تتناول قضية الوحدة العربية قام بها نخبة من الباحثين المتخصصين في الميادين المختلفة التي تناولتها الابحاث والدراسات في علاقتها بالوحدة العربية، كما عقد المركز سلسلة من الندوات شارك فيها العشرات بل المئات من الباحثين المتخصصين، وما زال المركز يتابع عمله ويوسع نشاطاته ويجنّد الباحثين والمهتمين بقضية الوحدة، بل يمكن القول ان